٤٧

اعتقاد

أبي بكر الآجري
محمد بن الحسين البغدادي

(٣٦٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وفيه:

أصول السنة واعتقاد السلف
من كتابه «الشريعة»

ترجمة صاحب العقيدة

الاسم: محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُري البغدادي.

الكُنية: أبو بكر.

اللَّقب: الآجُرِّي.

المولد: (٢٦٤هـ).

الوفاة: (٣٦٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الثناء عليه:

قال الخطيب: كان ثقة صدوقا دينًا.

وقال ابن البناء: كان إمامًا ناصحًا، وورعًا صالحًا، وكلامه نيِّرًا واضحًا.

وقال ابن خلكان: الفقيه الشافعيّ المُحدِّث.. كان صالحًا عابدًا.

وقال الذهبي: الإمام المُحدِّث الفقيه، شيخ الحرم الشريف.. كان صادقًا خيِّرًا عابدًا، صاحب سُنَّة واتباع.

مصدر الترجمة:

«تاريخ بغداد» (٢/ ٢٤٣)، و«السير» (١٦/ ١٣٣)، و«وفيات الأعيان» (٤/ ٢٩٢).

مجمل العقيدة:

اشتملت هذه العقيدة على مجمل اعتقاد السلف أهل السُّنة والأثر في أبواب السُّنة والاعتقاد.

مصدر العقيدة:

كتاب «الشريعة» للإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعد من أوسع كتب أهل السُّنة والأثر في أبواب السُّنة والاعتقاد.

وقد قسَّمه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى كتب، وتحت كل كتابٍ أبواب كثيرة، واستدل على كل بابٍ بالأدلة من الكتاب والسُّنة وآثار السلف الصالح مع الشرح والبيان لمعتقد أهل السُّنة تحت كل باب.

وسأقتصر في هذا المعتقد على ذكر كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أبواب الاعتقاد دون ذكر ما استدل به من الآيات والأحاديث وآثار السلف إلا في بعض المواطن.

وقد اجتهدت أن أبقي كلامه كما هو إلا في بعض المواطن التي أطال فيها الشرح والبيان فإني أختصره مع تغيير في بعض الألفاظ ليستقيم بها سرد الكلام.

وقد اعتمدت في ضبط النص على:

١ ـ نشرة مؤسسة قرطبة (ط/١٤١٧هـ).

٢ ـ نشرة دار الوطن (ط/١٤١٨).

قال الإمام الآجري رحمه الله تعالى:

١ ـ إن الله عَزَّ وَجَلَّ بمنِّه وفضله أخبرنا في كتابه عمن تقدَّم من أهل الكتابين ـ اليهود والنصارى ـ أنهم إنما هلكوا لما افترقوا في دينهم.

وأعلمنا مولانا أن الذي حملهم على الفُرقةِ من الجماعة والميل إلى الباطل إنما هو: البغي والحسد بعد أن قد علموا ما لم يعلم غيرهم، فحملهم شدَّة البغي والحسد إلى أن صاروا فرقًا فهلكوا.

٢ ـ وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أُمَّة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنهم اختلفوا عليه على إحدى وسبعين مِلَّة كلها في النَّار إلَّا واحدة، وأخبر عن أُمَّة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنهم اختلفوا عليه على اثنتين وسبعين مِلَّة، إحدى وسبعون منها في النار، وواحدة في الجنة، وقال: «**وتعلوا أُمَّتي الفرقتين جميعًا تزيد عليهم فرقة واحدة، ثنتان وسبعون منها في النَّار، وواحدة في الجنة**». ثم إنه سئل من الناجية؟

فقال في حديث: «**ما أنا عليه وأصحابي**».

وفي حديث قال: «**السَّواد الأعظم**».

وفي حديث قال: «**واحدة في الجنَّة وهي الجماعة**»[1].

ومعانيها واحدة إن شاء الله تعالى.

٣ ـ ولم يختلف العلماء قديمًا وحديثًا أن الخوارج قوم سوء عصاة لله تعالى ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في

---

(١) حديث صحيح. وقد تقدم تخريجه في عقيدة الزبيري (٤٦) فقرة (١١).

العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم؛ لأنهم قومٌ يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين، وقد حذَّر الله تعالى منهم وحذَّر النبي ﷺ.

٤ ـ والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديمًا وحديثًا، ويخرجون على الأئمة والأمراء، ويستحلون قتل المسلمين.

فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام عدلًا كان الإمام أو جائرًا؛ فخرج وجمع جماعة وسلَّ سيفه واستحلّ قتل المسلمين فلا ينبغي له أن يغترَّ بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صومه، ولا بحسن ألفاظه في العلم إذا كان مذهبه مذهب الخوارج.

٥ ـ وقد جاء في التحذير من مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله تعالى عن مذاهب الخوارج، ولم ير رأيهم فصبر على جور الأئمة وحيف الأمراء، ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله تعالى كشف الظلم عنه وعن المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح، وحج معهم، وجاهد معهم كلَّ عدو للمسلمين وصلى خلفهم الجمعة والعيدين، وإن أمروه بطاعة فأمكنه أطاعهم، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروه بمعصية لم يطعهم، وإذا دارت الفتن بينهم لزم بيته وكفَّ لسانه ويده، ولم يهو ما هم فيه، ولم يعن على فتنة، فمن كان هذا وصفه كان على الصراط المستقيم إن شاء الله.

٦ ـ وقد وردت أحاديث كثيرة في ذم الفتن والأمر باعتزالها؛ فينبغي للعاقل أن يحتاط لدينه، فإن الفتن على وجوه كثيرة قد مضى منها فتن عظيمة نجا منها أقوام، وهلك فيها أقوام باتباعهم الهوى وإيثارهم للدنيا، فمن أراد الله به خيرًا فتح له باب الدعاء والتجأ إلى مولاه الكريم، وخاف على دينه، وحفظ لسانه، وعرف زمانه، ولزم المحجة الواضحة ـ السواد الأعظم ـ ولم يتلون في دينه، وعبد ربه تعالى فترك الخوض في الفتنة، فإن الفتنة يفتضح عندها خلق كثير.

٧ ـ ومن السُّنة اللازمة: التمسك بكتاب الله تعالى، وسنة رسول الله، وسنة أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وترك البدع، وترك النظر والجدال فيما يخالف فيه الكتاب والسُّنة وقول الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٨ ـ وينبغي لأهل العلم والعقل؛ إذا سمعوا قائلًا يقول: قال رسول الله ﷺ في شيء قد ثبت عند العلماء، فعارض إنسان جاهل فقال: لا أقبل إلَّا ما كان في كتاب الله تعالى.

قيل له: أنت رجل سوء، وأنت ممن حَذَّرناك النبي ﷺ، وحذر منك العلماء.

وقيل له: يا جاهل إن الله أنزل فرائضه مجملة، وأمر نبيه أن يُبيِّن للناس ما نزل إليهم.

وقيل لهذا المعارض لسنن رسول الله ﷺ: يا جاهل، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، أين تجد في كتاب الله تعالى أن الفجر ركعتان، وأن الظهر أربع، وأن العصر أربع، والمغرب ثلاث، وأن العشاء الآخرة أربع؟ وكذلك جميع

فرائض الله التي فرضها في كتابه، لا يعلم الحكم فيها إلَّا بسنن رسول الله ﷺ.

هذا قول علماء المسلمين، من قال غير هذا خرج عن ملَّةِ الإسلام، ودخل في ملَّة الملحدين، نعوذ بالله من الضَّلالة بعد الهدى.

٩ - والجدال والخصومات في الدين مذمومة. ولما سمع أهل العلم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين الأدلة على النهي عن الجدال والمراء لم يماروا في الدِّين، ولم يجادلوا، وحذروا المسلمين المراء والجدال، وأمروهم بالأخذ بالسُّنن، وبما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، وهذا طريق أهل الحق ممن وفقه الله تعالى.

١٠ - ومن كان له علم وعقل علم أنه محتاج إلى العمل، فإن أراد الله به خيرًا لزم سنن رسول الله ﷺ، وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان من أئمة المسلمين في كل عصر، وتعلم العلم لنفسه لينتفي عنه الجهل، وكان مراده أن يتعلمه لله تعالى، ولم يكن مراده أن يتعلمه للمراء والجدال والخصومات ولا للدنيا، ومن كان هذا مراده سلم إن شاء الله تعالى من الأهواء والبدع والضلالة.

١١ - وإن أتاك من يسألك مسألة مسترشد إلى طريق الحقِّ لا مناظرة؛ فأرشده بألطف ما يكون من البيان بالعلم من الكتاب والسُّنة وقول الصَّحابة وقول أئمة المسلمين رضي الله عنهم.

وإن كان يريد مناظرتك ومجادلتك؛ فهذا الذي كره لك العلماء، فلا تناظره، واحذره على دينك كما قال من تقدم من أئمة المسلمين إن كنت لهم مُتَّبِعًا.

١٢ ـ فإن قال: فندعهم يتكلمون بالباطل ونسكت عنهم؟

قيل له: سكوتك عنهم وهجرتك لما تكلموا به أشدّ عليهم من مناظرتك لهم، كذا قال من تقدم من السلف الصالح من علماء المسلمين.

قال أيوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لست بِرَادٍّ عليهم أشد من السُّكوت.

من اقتدى بهؤلاء الأئمة؛ سَلِمَ له دينه إن شاء الله تعالى.

١٣ ـ فإن قال قائل: فإن اضطرني الأمر وقتًا من الأوقات إلى مناظرتهم وإثبات الحجة عليهم ألا أناظرهم؟

قيل له: الاضطرار إنما يكون مع إمام له مذهب سوء فيمتحن الناس ويدعوهم إلى مذهبه، كفعل من مضى في وقت أحمد بن حنبل؛ ثلاثة خلفاء امتحنوا الناس ودعوهم إلى مذهبهم السوء، فلم يجد العلماء بدًا من الذَّب عن الدين، وأرادوا بذلك معرفة العامة الحق من الباطل، فناظروهم ضرورة لا اختيارًا، فأثبت الله تعالى الحق مع أحمد بن حنبل ومن كان على طريقته، وأذلَّ الله تعالى المعتزلة وفضحهم، وعرفت العامة أن الحق ما كان عليه أحمد ومن تابعه إلى يوم القيامة، وأرجو أن يعيذ الله الكريم أهل العلم من أهل السُّنة والجماعة من محنة تكون أبدًا.

١٤ ـ وعليك بحفظ السُّنن عن رسول الله ﷺ، وسنن أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعين لهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين؛ مثل: مالك بن أنس، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وابن المبارك وأمثالهم، والشافعي، وأحمد، والقاسم بن سلَّام ومن كان على طريقة هؤلاء من العلماء، وينبذ من سواهم، ولا يناظرهم ولا يجادل

ولا يخاصم، وإذا لقي صاحب بدعة في طريق أخذ في غيره، وإن حضر مجلسًا هو فيه قام عنه، هكذا أدبنا من مضى من سلفنا.

١٥ ـ وقال النبي ﷺ: «**مراء في القرآن كفر**»[١].

ومعناه: أن يقول هذا: قراءتي أفضل من قراءتك، ويقول الآخر: بل قراءتي أفضل من قراءتك، ويكذب بعضهم بعضًا، فقيل لهم: ليقرأ كل إنسانٍ كما عُلِّم، ولا يعب بعضكم قراءة غيره، واتقوا الله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، واعتبروا بأمثاله، وأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، واتركوا الجدال والمراء في القرآن فإنا قد نهينا عنه، ولا يقول إنسان في القرآن برأيه، ولا يفسِّر القرآن إلَّا ما جاء به النبي ﷺ، أو عن أحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم، أو عن أحد من التابعين، أو عن إمام من أئمة المسلمين، ولا يماري ولا يجادل.

١٦ ـ وقد حذَّر النبي ﷺ أُمَّته الذين يجادلون بمتشابه القرآن، وعاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه صبيغ بن عسل لما قدم المدينة وكانت عنده كتب فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبعث إليه وقد أعدَّ له عراجين النخل، فلما دخل عليه جعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجَّه.

١٧ ـ فإن قال قائل: فمن يسأل عن تفسير: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾ [الذاريات] استحق الضرب والتنكيل به والهجر؟

قيل له: لم يكن ضرب عمر رضي الله عنه له بسبب هذه المسألة؛

(١) حديث صحيح، وقد تقدم تخريجه في العقيدة (٧) للإمام أحمد رحمه الله.

ولكن لما تأدَّى إلى عمر ما كان يسأل عنه من متشابه القرآن من قبل أن يراه، علم أنه مفتون قد شغل نفسه بما لا يعود عليه نفعه، وعلم أن اشتغاله بطلب علم الواجبات من علم الحلال والحرام أولى به، وتطلب علم سنن رسول الله ﷺ أولى به فلما علم أنه مقبل على ما لا ينفعه؛ سأل عمر الله تعالى أن يُمكِّنه منه حتى يُنكِّل به، وحتى يُحذِّر غيره؛ لأنه راع يجب عليه تفقد رعيته في هذا وفي غيره، فأمكنه الله تعالى منه.

١٨ ـ وقد كان العلماء قديمًا وحديثًا يكرهون عُضل المسائل ويردونها، ويأمرون بالسؤال عما يعني خوفًا من المراء والجدال الذي نُهوا عنه، نهى النبي ﷺ عن قيل وقال، وكثرة السؤال. ونهى عن الأغلوطات. كل هذا خوفًا من المراء والجدال.

١٩ ـ واعلموا أن قول المسلمين الذين لم تزغ قلوبهم عن الحقِّ، ووفِّقوا للرشاد قديمًا وحديثًا: أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق؛ لأن القرآن من علم الله، وعلم الله لا يكون مخلوقًا تعالى الله عن ذلك.

دلَّ على ذلك القرآن، والسُّنة، وقول الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقول أئمة المسلمين لا ينكر هذا إلَّا جهمي خبيث، والجهمي عند العلماء كافر.

ولم يزل الله عالمًا مُتكلمًا سميعًا بصيرًا بصفاته قبل خلق الأشياء، من قال غير هذا كفر.

٢٠ ـ وأما الذين قالوا: (القرآن كلام الله)، ووقفوا فيه، وقالوا: لا نقول غير مخلوق؛ فهؤلاء عند كثير من العلماء ممن رد على من قال بخلق القرآن، قالوا: هؤلاء الواقفة مثل من قال:

(القرآن مخلوق) وأشرّ؛ لأنهم شكوا في دينهم. ونعوذ بالله ممن يشكّ في كلام الرب أنه غير مخلوق.

قال أبو داود السجستاني: سمعت أحمد يُسأل: هل لهم رُخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله ثم يسكت؟

فقال: ولم يسكت؟! لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت؛ ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا، لأي شيء لا يتكلمون؟!

ومعنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى، يقول: لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله تعالى، فلما جاء جهم بن صفوان فأحدث الكفر بقوله: (القرآن مخلوق)، لم يسع العلماء إلّا الرد عليه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق بلا شكّ ولا توقّف فيه، فمن لم يقل: (غير مخلوق) سُمي: واقفيًا شاكًّا في دينه.

٢١ ـ واحذروا ـ رحمكم الله ـ هؤلاء الذين يقولون: (إن لفظه بالقرآن مخلوق)؛ فهذا عند أحمد بن حنبل ومن كان على طريقته منكر عظيم، وقائل هذا مُبتدع خبيث لا يُكلَّم، ولا يُجالس، ويُحذَّر منه الناس، لا يعرف العلماء غير ما تقدم ذِكْرُنا له وهو: أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

أ ـ ومن قال: مخلوق؛ فقد كفر.

ب ـ ومن قال: القرآن كلام الله ووقف؛ فهو جهمي.

ج ـ ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي أيضًا، كذا قال أحمد بن حنبل، وغلَّظ فيه القول جدًّا.

د ـ وكذلك من قال: (لفظي بالقرآن غير مخلوق)؛ فقد ابتدع وجاء بما لا يعرفه العلماء، كذلك قال، وغلَّظ القول فيه أحمد جدًّا.

هـ ـ وكذلك من قال: (إن هذا القرآن الذي يقرؤه الناس وهو في المصاحف حكاية لما في اللوح المحفوظ)؛ فهذا منكر تنكره العلماء.

يقال لقائل هذه المقالة: القرآن يكذبك ويرد قولك، والسُّنة تكذبك وترد قولك.

ومن قال هذه المقالات فحكمه: أن يُهجر، ولا يُكلَّم، ولا يُصلَّى خلفه، ويُحذّر منه.

٢٢ ـ واعلموا رحمنا الله وإياكم أن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ إلى الناس كافة؛ ليقروا بتوحيده فيقولوا: (لا إله إلَّا الله محمد رسول الله) فكان من قال هذا موقنًا من قلبه، وناطقًا بلسانه أجزأه، ومن مات على هذا فإلى الجنة، فلما آمنوا بذلك وأخلصوا توحيدهم فرض عليهم الصَّلاة بمكة فصدقوا بذلك وآمنوا وصلوا، ثم فرض عليهم الهجرة فهاجروا وفارقوا الأهل والوطن، ثم فرض عليهم بالمدينة الصِّيام فآمنوا وصدقوا وصاموا شهر رمضان، ثم فرض عليهم الزكاة فآمنوا وصدقوا وأدوا ذلك كما أمروا، ثم فرض عليهم الجهاد فجاهدوا القريب والبعيد وصبروا وصدقوا، ثم فرض عليهم الحج فحجوا وآمنوا به، فلما آمنوا بهذه الفرائض وعملوا بها تصديقًا بقلوبهم، وقولًا بألسنتهم، وعملًا بجوارحهم، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ثم أعلمهم أنه لا يقبل في الآخرة إلَّا دين الإسلام، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال النبي ﷺ: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلّا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلًا**».

ثم بين النبي ﷺ لأُمَّته شرائع الإسلام حالًا بعد حال.

٢٣ ـ فإن احتج محتجٌّ بالأحاديث التي رويت: «**من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة**».

قيل له: هذه كانت قبل نزول الفرائض على ما تقدَّم ذكرنا له.

وهذا قول علماء المسلمين ممن نفعهم الله تعالى بالعلم، وكانوا أئمة يقتدى بهم سوى المرجئة الذين خرجوا عن جُملة ما عليه الصَّحابة ﷺ والتابعون لهم بإحسان، وقول الأئمة الذين لا يُستوحش من ذكرهم في كل بلدٍ.

٢٤ ـ والإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، والإسلام لا يجوز أن يقال: يزيد وينقص.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [الأنفال: ٢].

٢٥ ـ والذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق؛ وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح.

واعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلّا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقًا، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق اللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث

كان مؤمنًا؛ دل على ذلك القرآن، والسُّنة، وقول علماء المسلمين.

والأعمال بالجوارح: تصديق عن الإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدق الإيمان بعمله بجوارحه مثل: الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج وأشباه لهذه، ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمنًا، ولم تنفعه المعرفة والقول، وكان تركه للعمل تكذيبًا منه لإيمانه، وكان العمل بما ذكرناه تصديقًا منه لإيمانه.

وقد قال تعالى في كتابه وبيَّن في غير موضع أن الإيمان لا يكون إلَّا بعمل، وبينه النبي ﷺ خلاف ما قالت المرجئة الذين لعب بهم الشيطان.

٢٦ ـ واعلموا أن الله تعالى أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله العمل، وأنه تعالى لم يثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم وأنهم قد رضوا عنه، وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة والنجاة من النار؛ إلَّا بالإيمان والعمل الصالح، وقَرَن مع الإيمان العمل الصالح، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده حتى ضمَّ إليه العمل الصالح الذي وفقهم له فصار الإيمان لا يتمّ لأحدٍ حتى يكون مصدقًا بقلبه، وناطقًا بلسانه، وعاملًا بجوارحه، لا يخفى على من تدبر القرآن وتصفَّحه.

٢٧ ـ وترك الصلاة كفر؛ لقوله ﷺ: «**بين العبد وبين الكفر ترك الصَّلاة**»[1]. والسنن والآثار في ترك الصلاة وتضييعها، مثل حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقوله لرجل لم يتم الصلاة: لو مات هذا لمات على غير فطرة محمد ﷺ. ومثله عن بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره

(١) حديث صحيح، وقد تقدم تخريجه في عقيدة الذهلي (٢٧) فقرة (٢٣).

ما يدل على أن من لم يصلِّ فلا إيمان له ولا إسلام.

٢٨ ـ ومن صفة أهل الحق ممن ذكرنا من أهل العلم: الاستثناء في الإيمان لا على جهة الشَّكِّ ـ نعوذ بالله من الشَّكِّ في الإيمان ـ؛ ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا؟ وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا سئلوا: أمؤمن أنت؟ قال: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار وأشباه هذا.

فالناطق بهذا والمصدق بقلبه مؤمن، وإنما الاستثناء في الإيمان لا يدري: أهو ممن يستوجب ما نعت الله به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا؟ هذا طريق الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان؛ عندهم أن الاستثناء في الأعمال لا يكون في القول والتصديق في القلب، وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان، والناس عندهم على الظاهر مؤمنون، به يتوارثون، وبه يتناكحون، وبه تجري أحكام ملَّة الإسلام؛ ولكن الاستثناء منهم على حسب ما بيَّناه لك وبيَّنه العلماء من قبلنا.

٢٩ ـ وإذا قال لك رجل: أنت مؤمن؟

أ ـ فقل: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والموت والبعث من بعد الموت والجنة والنار.

ب ـ وإن أحببت ألا تجيبه وتقول له: سؤالك إياي بدعة، ولا أجيبك.

ج ـ وإن أجبته فقلت: أنا مؤمن إن شاء الله، على النعت الذي ذكرنا فلا بأس به.

واحذر مناظرة مثل هذا؛ فإن هذا عند العلماء مذموم، واتبع أثر من مضى من أئمة المسلمين تسلم إن شاء الله.

٣٠ ـ ومن قال: الإيمان قول دون العمل؛ يقال له: رددت القرآن والسُّنة وما عليه جميع العلماء، وخرجت من قول المسلمين، وكفرت بالله العظيم.

فإن قال: بم ذا؟

قيل له: إن الله تعالى أمر المؤمنين بعد أن صدقوا في إيمانهم؛ أمرهم بالصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وفرائض كثيرة يطول ذكرها، مع شدة خوفهم على التفريط فيها النار والعقوبة الشديدة.

فمن زعم أن الله تعالى فرض على المؤمنين ما ذكرنا، ولم يرد منهم العمل، ورضي بالقول منهم فقد خالف الله ورسوله ﷺ.

قال الله تعالى لما تكامل أمر الإسلام بالأعمال، قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال النبي ﷺ: «**بُني الإسلام على خمس**».

وقال: «**من ترك الصَّلاة فقد كفر**».

٣١ ـ ومن قال الإيمان المعرفة دون القول والعمل؛ فقد أتى بأعظم من مقالة من قال الإيمان قول؛ ولزمه أن يكون إبليس على قوله مؤمنًا؛ لأنه قد عرف ربه، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩].

ولزمه أن يكون اليهود ـ بمعرفتهم بالله وبرسوله ـ أن يكونوا مؤمنين، قال الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] فقد أخبر عَزَّ وَجَلَّ أنهم يعرفون الله ورسوله ﷺ.

على قائل هذه المقالة الوحشية: لعنة الله.

بل نقول ـ والحمد لله ـ قولًا يوافق الكتاب والسُّنة وعلماء المسلمين الذين لا يستوحش من ذكرهم: إن الإيمان معرفة بالقلب ـ تصديقًا يقينيًا ـ، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمنًا إلَّا بهذه الثلاثة، لا يجزي بعضها عن بعض، والحمد لله على ذلك.

٣٢ ـ واحذروا رحمكم الله قول من يقول:

أ ـ (إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل).

ب ـ ومن يقول: (أنا مؤمن عند الله).

ج ـ (وأنا مؤمن مستكمل الإيمان).

هذا كله مذهب أهل الإرجاء.

من قال هذا: فقد أعظم الفرية على الله تعالى، وأتى بضد الحق وبما ينكره جميع العلماء؛ لأن قائل هذه المقالة: يزعم أن من قال: (لا إله إلَّا الله) لم تضره الكبائر أن يعملها، ولا الفواحش أن يرتكبها، وأن عنده أن البار التقي الذي لا يباشر من ذلك شيئًا والفاجر يكونان سواء! هذا منكر.

قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

يقال لقائل هذه المقالة المنكرة: يا ضال يا مُضل إن الله تعالى لم يسو بين الطائفتين من المؤمنين في أعمال الصالحات حتى فضَّل بعضهم على بعض درجات.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠] فوعدهم عَزَّ وَجَلَّ كلهم بالحسنى بعد أن فضَّل بعضهم على بعض.

فكيف يجوز لهذا المُلحد في الدِّين أن يسوي بين إيمانه وإيمان جبريل وميكائيل ويزعم أنه مؤمن حقًّا؟!

٣٣ ـ ولا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر؛ لأن القدر سِرٌّ من سرِّ الله، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شرٍّ واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد فيضل عن طريق الحق.

ولولا أن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كما بلغهم عن قومٍ ضلال شردوا عن طريق الحقِّ، وكذبوا بالقدر، فردوا عليهم قولهم وسبُّوهم وكفروهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان سبُّوا من تكلَّم في القدر وكذَّب به، ولعنوهم، ونهوا عن مجالستهم وكذلك أئمة المسلمين، فلولا أن هؤلاء ردوا على القدرية لم يسع من بعدهم الكلام في القدر، بل الإيمان بالقدر خيره وشرِّه واجب قضاء وقدر، وما قدر يكون وما لم يقدر لم يكن، وإذا عمل العبد بطاعة الله تعالى علم أنها بتوفيق منه له؛ فيشكره على ذلك، وإذا عمل بمعصية؛ ندم على ذلك، وعلم أنها بمقدور جرى عليه، فذم نفسه واستغفر الله تعالى؛ هذا مذهب المسلمين، وليس لأحدٍ على الله حُجَّة، بل لله الحجة على خلقه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٩].

٣٤ ـ ثم اعلموا ـ رحمنا الله وإياكم ـ أن مذهبنا في القدر أنا نقول: إن الله تعالى خلق الجنة وخلق النار، وخلق لكل واحد منهما أهلًا، وأقسم بعزَّته أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين، ثم خلق آدم عليه السلام، واستخرج من ظهره كل ذرية هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم جعلهم فريقين فريقًا في الجنة وفريقًا في السعير، وخلق إبليس وأمره بالسجود لآدم، وقد علم أنه لا يسجد للمقدور الذي قد جرى عليه من الشقوة، والتي سبقت في العلم من الله عليه، لا معارض لله في حكمه، يفعل في خلقه ما يريد عدلًا من ربنا قضاؤه وقدره.

وخلق آدم وحواء عليهما السلام، للأرض خلقهما، أسكنهما الجنة وأمرهما أن يأكلا منها رغدًا ما شاءا، ونهاهما عن شجرة واحدة أن يقرباها، وقد جرى أنهما سيعصيانه بأكلهما من الشجرة، فهو تبارك وتعالى في الظاهر ينهاهما وفي الباطن من علمه قد قدَّر عليهما أنهما يأكلان منها ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣] لم يكن لهما بُدٌّ من أكلهما سببًا للمعصية، وسببًا لخروجهما من الجنة إذ كانا للأرض خُلِقا، وأنه سيغفر لهما بعد المعصية، كلُّ ذلك سابق في علمه لا يجوز أن يكون شيء يحدث في جميع خلقه إلَّا وقد جرى مقدوره به، وأحاط به علمًا قبل كونه أنه سيكون.

وخلق الخلق كما شاء لما شاء فجعلهم شقيًّا وسعيدًا قبل أن يخرجهم إلى الدنيا وهم في بطون أمهاتهم، وكتب آجالهم وكتب أرزاقهم وكتب أعمالهم ثم أخرجهم إلى الدنيا، وكل إنسان يسعى فيما كُتب له وعليه.

ثم بعث رسله، وأنزل عليهم وحيه، وأمرهم بالبلاغ لخلقه؛ فبلغوا رسالات ربهم، ونصحوا قومهم، فمن جرى في مقدور الله تعالى أن يؤمن آمن، ومن جرى في مقدوره أن يكفر كفر، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾ [التغابن: ٢].

أحب من أراد من عباده؛ فشرح صدره للإسلام والإيمان، ومقت آخرين فختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلن يهتدوا إذًا أبدًا، يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣].

الخلق كلهم له، يفعل في خلقه ما يريد غير ظالم لهم، جلَّ ذكره عن أن ينسب ربنا إلى الظلم، إنما يظلم من يأخذ ماً ليس له بملك، وأما ربُّنا تعالى فله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وله الدنيا وله الآخرة جل ذكره وتقدست أسماؤه.

أحب الطاعة من عباده وأمر بها فجرت ممن أطاعه بتوفيقه لهم، ونهى عن المعاصي وأراد كونها من غير محبّةٍ منه لها ولا أمر بها، تعالى عَزَّ وَجَلَّ عن أن يأمر بالفحشاء أو يحبها، وجل الله ربنا من أن يجري في ملكه ما لم يرد أن يجري، أو شيء لم يحط به علمه قبل كونه.

قد علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وبعد أن خلقهم قبل أن يعملوا قضاء وقدرًا، قد جرى القلم بأمره تعالى في اللوح المحفوظ بما يكون من برٍّ أو فجور، يثني على من عمل بطاعته من عبيده، ويضيف العمل إلى العباد، ويعِدهم عليه الجزاء العظيم،

ولولا توفيقه لهم ما عملوا بما استوجبوا به منه الجزاء، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

وكذا ذمَّ قومًا عملوا بمعصيته وتوعَّدهم على العمل بها النار، وأضاف العمل إليهم بما عملوا، وذلك بمقدور جرى عليهم، يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

هذا مذهبنا في القدر، والحُجَّة فيه: كتاب الله تعالى، وسُنة رسوله ﷺ، وسُنة أصحابه ﷺ، والتابعين لهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين.

٣٥ ـ وقد نُهينا عن الجدل والمراء والبحث عن القدر، وأُمرنا بترك مجالسة القدرية، وألا نناظرهم ولا نفاتحهم على سبيل الجدل، بل يهجرون ويهانون ويذلون، ولا يُصلَّى خلف واحدٍ منهم، ولا تقبل شهادته، ولا يزوج، وإن مرض لم يعد، وإن مات لم تحضر جنازته، ولم تجب دعوته في وليمة إن كانت له، فإن جاء مسترشدًا أُرشد على معنى النصيحة له، فإن رجع فالحمد لله، وإن عاد إلى باب الجدل والمراء لم يُلتفت إليه، وطُرِدَ وحُذِّر منه، ولم يُكلَّم، ولم يُسلَّم عليه.

٣٦ ـ والقدرية: أشقياء؛ كذا قال رسول الله ﷺ، وسماهم مجوس هذه الأمة، وقال: «**إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»(١).

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٩٢) من حديث ابن عمر ﷺ، وانظر بقية تخريجه هناك، وقد ضعفه مرفوعًا العقيلي، وقال الدارقطني: والصحيح الموقوف عن ابن عمر ﷺ.

٣٧ ـ والقدري لا يقول: اللّهم وفقني، ولا يقول: اللّهم اعصمني، ولا يقول: لا حول ولا قوة إلّا بالله؛ لأن عنده أن المشيئة إليه، إن شاء أطاع، وإن شاء عصى، فاحذروا مذاهبهم لا يفتنونكم عن دينكم.

٣٨ ـ وينبغي لأئمة المسلمين وأمرائهم إذا صحَّ عندهم أن إنسانًا يتكلَّم في القدر بخلاف ما عليه من تقدم؛ أن يعاقبه بمثل عقوبة هشام بن عبد الملك لغيلان القدري، ولا تأخذهم في الله لومة لائم.

فقد كان غيلان مُصرًّا على الكفر بقوله في القدر، فإذا حضر عند عُمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ نافق وأنكر أن يقول بالقدر، فدعا عليه عمر بأن يجعله الله تعالى آية للمؤمنين إن كان كاذبًا؛ فأجاب الله عَزَّوَجَلَّ فيه دعوة عمر، فتكلَّم غيلان في وقت هشام هو وصالح مولى ثقيف فقتلهما وصلبهما، وقبل ذلك قطع يد غيلان ولسانه، ثم قتله وصلبه؛ فاستحسن العلماء في وقته ما فعل بهما.

٣٩ ـ وأئمة القدرية في مذاهبهم القذرة: معبد الجهني بالبصرة، وقد ردَّ عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعون.

وقبله رجل من أهل العراق كان نصرانيًّا فأسلم، ثم تنصَّر فأخذ عنه معبد الجهني القدر كذا قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأخذ غيلان عن معبد، وقد عجَّل الله له من الخزي في الدنيا، وما له في الآخرة أعظم.

وعَمرو بن عُبيد وما ذمَّه العلماء وهجروه وكفَّروه، هؤلاء أئمتهم الأنجاس الأرجاس.

٤٠ ـ وأهل السَّعادة: هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، فآمنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئًا، وصدقوا القول بالفعل فأماتهم على ذلك، فهم في قبورهم ينعمون، وعند المحشر يبشرون، وفي الموقف إلى الله تعالى بأعينهم ينظرون، وإلى الجنة بعد ذلك وافدون، وفي نعيمهم يتفكَّهون، وللحور العين معانقون، والولدان لهم يخدمون، وفي جوار مولاهم الكريم أبدًا خالدون، ولربهم تعالى في داره زائرون، وبالنظر إلى وجهه الكريم يتلذَّذون، وله مُكلِّمون، وبالتحية لهم من الله تعالى والسلام منه عليهم يُكرمون، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

٤١ ـ فإن اعترض جاهل ممن لا علمَ معه، أو بعض هؤلاء الجهمية الذين لم يُوفَّقوا للرشاد، ولعب بهم الشيطان، وحرموا التوفيق فقال: والمؤمنون يرون الله يوم القيامة؟

قيل له: نعم؛ والحمد لله تعالى على ذلك.

فإن قال الجهمي: أنا لا أؤمن بهذا!

قيل له: كفرت بالله العظيم.

فإن قال: وما الحجة؟

قيل: لأنك رددت القرآن والسُّنة وقول الصحابة رضي الله عنهم وقول علماء المسلمين، واتبعت غير سبيل المؤمنين، وكنت ممن قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

٤٢ ـ فإن اعترض بعض من قد استحوذ عليهم الشيطان فهم

في غيهم يترددون ممن يزعم أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يُرى في الآخرة، واحتج بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فجحد النظر إلى الله عَزَّوَجَلَّ بتأويله الخطأ لهذه الآية.

قيل له: يا جاهل، إن الذي أنزل الله عَزَّوَجَلَّ عليه القرآن هو أعلم بتأويلها منك يا جهمي.

٤٣ ـ فإن قال قائل: فما تأويل قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟

قيل له: معناها عند أهل العلم: أي لا تحيط به الأبصار، ولا تحويه عَزَّوَجَلَّ وهم يرونه من غير إدراك، ولا يشكُّون في رؤيته كما يقول الرجل: رأيت السماء وهو صادق ولم يحط بصره بكل السماء ولم يدركها، وكما يقول الرجل: رأيت البحر وهو صادق ولم يدرك بصره كل البحر ولم يحط ببصره. هكذا فسَّره العلماء إن كنت تعقل.

٤٤ ـ واعلموا وفقنا الله وإياكم إلى الرشاد من القول والعمل أن أهل الحق يصفون الله عَزَّوَجَلَّ بما وصف به نفسه عَزَّوَجَلَّ، وبما وصفه به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبما وصفه به الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له والإيمان به أن الله عَزَّوَجَلَّ يضحك، كذا روي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن صحابته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولا ينكر هذا إلَّا من لا يُحمد حاله عند أهل الحقِّ.

وهذه السُّنن كلها نؤمن بها ولا نقول فيها: كيف؟ والذين

نقلوا هذه السُّنن هم الذين نقلوا إلينا السُّنن في الطَّهارة وفي الصَّلاة وسائر الأحكام من الحلال والحرام، فقبلها العلماء منهم أحسن قبول، ولا يرد هذه السُّنن إلَّا من يذهب مذهب المعتزلة.

فمن عارض فيها، أوردَّها، أو قال: كيف؟ فاتهموه واحذروه.

٤٥ ـ واحذروا مذهب الحلولية الذين لعب بهم الشيطان فخرجوا بسوء مذهبهم عن طريق أهل العلم.

مذاهبهم قبيحة لا تكون إلَّا في كل مفتون هالك؛ زعموا أن الله ﷻ حالٌّ في كل شيء حتى أخرجهم سوء مذهبهم إلى أن تكلموا في الله ﷻ بما ينكره العلماء العقلاء، لا يوافق قولهم كتاب، ولا سُنة، ولا قول الصحابة ﷺ، ولا قول أئمة المسلمين، وإني لأستوحش أن أذكر قبيح أفعالهم تنزيها مني لجلال الله ﷻ وعظمته؛ كما قال ابن المبارك: إنا لنستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

والذي يذهب إليه أهل العلم: أن الله ﷻ سبحانه على عرشه فوق سماواته، وعلمه محيط بكل شيء، قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السموات العلى، وبجميع ما في سبع أراضين وما بينهما وما تحت الثرى، يعلم السِّرَّ وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، ويعلم الخطرة والهمة، ويعلم ما توسوس به النفوس، يسمع ويرى، لا يعزب عن الله ﷻ مثقال ذرة في السموات والأرضين وما بينهن إلَّا وقد أحاط علمه به، وهو على عرشه سبحانه العلي الأعلى، ترفع إليه أعمال العباد وهو أعلم بها من الملائكة الذين يرفعونها بالليل والنهار.

٤٦ ـ فإن قال قائل: فأيش معنى قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ الآية [المجادلة: ٧] التي بها يحتجون؟

قيل له: علمه عَزَّ وَجَلَّ، والله عَزَّ وَجَلَّ على عرشه، وعلمه محيط بهم وبكل شيء من خلقه، كذا فسَّره أهل العلم، والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم.

فإن قال قائل: كيف؟

قيل: قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى آخر الآية قوله: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾.

فابتدأ الله عَزَّ وَجَلَّ الآية بالعلم وختمها بالعلم، فعلمه عَزَّ وَجَلَّ محيط بجميع خلقه، وهو على عرشه، وهذا قول المسلمين.

٤٧ ـ ومن ادعى أنه مسلم ثم زعم أن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يكلم موسى؛ فقد كفر، يُستتاب فإن تاب وإلَّا قُتل.

قيل: لأنه رد القرآن وجحده، ورد السُّنة، وخالف جميع علماء المسلمين، وزاغ عن الحق.

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤].

فمن زعم أن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يُكلِّم موسى: فقد ردَّ نصَّ القرآن، وكفر بالله العظيم.

٤٨ ـ فإن قال منهم قائل: إن الله تعالى خلق كلامًا في الشجرة فكلَّم به موسى.

قيل له: هذا هو الكفر؛ لأنه يزعم أن الكلام مخلوق، تعالى الله ﷻ عن ذلك، ويزعم أن مخلوقًا يدعي الربوبية، وهذا من أقبح القول وأسمجه.

وقيل له: يا مُلحد! هل يجوز لغير الله أن يقول: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]؟ نعوذ بالله أن يكون قائل هذا مسلمًا، هذا كافر يستتاب فإن تاب ورجع عن مذهبه السُّوء؛ وإلَّا قتله الإمام، فإن لم يقتله الإمام، ولم يستتبه، وعلم منه أن هذا مذهبه؛ هُجِرَ، ولم يُكلَّم، ولم يُسلَّم عليه، ولم يُصلَّ خلفه، ولم تُقبل شهادته، ولم يزوجه المسلم كريمته.

٤٩ ـ والإيمان والتصديق بأن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا واجب، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزل؟ ولا يرد هذا إلَّا المعتزلة، وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف؛ لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله أن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام وعلم الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، فكما قبل العلماء عنهم ذلك، كذلك قبلوا منهم هذه السنن. وقالوا: من ردها فهو ضالٌّ خبيث، يحذرونه، ويُحذِّرون منه.

٥٠ ـ والإيمان بأن الله ﷻ خلق آدم على صورته بلا كيف. هذه من السُّنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يقال فيها: كيف؟ ولم؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق، وترك النظر كما قال من تقدم من أئمة المسلمين.

٥١ ـ والإيمان بأن قلوب الخلائق بين أصبعين من أصابع الرب عَزَّ وَجَلَّ بلا كيف.

٥٢ ـ والإيمان بأن الله عَزَّ وَجَلَّ يمسك السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والخلائق كلها على إصبع، والماء والثرى على إصبع.

٥٣ ـ والإيمان بما روي أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقبض الأرض بيده، ويطوي السماوات بيمينه.

٥٤ ـ والإيمان بأن الله عَزَّ وَجَلَّ يأخذ الصدقات بيمينه فيربيها للمؤمن.

٥٥ ـ والإيمان بأن لله عَزَّ وَجَلَّ يدين، وكِلتا يديه يمين.

٥٦ ـ والإيمان بأن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بيده، وخطَّ التوراة لموسى بيده، وخلق جنة عدن بيده، وقد قيل: العرش والقلم، وقال لسائر الخلق: كُن؛ فكان. فسبحانه.

ويقال للجهمي الذي ينكر أن الله خلق آدم بيده: كفرت بالقرآن، ورددت السُّنة، وخالفت الأمة.

٥٧ ـ والإيمان بأن الله عَزَّ وَجَلَّ لا ينام، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

نعوذ بالله ممن لا يؤمن بجميع ما ذكرنا، وإنما لا يؤمن بما ذكرناه الجهمية الذين خالفوا الكتاب والسُّنة وسُنَّة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وخالفوا أئمة المسلمين، فينبغي لكل مسلم عقل عن الله عَزَّ وَجَلَّ أن يحذرهم على دينه.

٥٨ ـ والإيمان بالشفاعة واجب، واعلموا أن المنكر للشفاعة

يزعم أن من دخل النار فليس بخارج منها؛ وهذا مذهب المعتزلة يُكذبون بها.

فالمعتزلة يخالفون هذا كله، لا يلتفتون إلى سنن الرسول ﷺ، ولا إلى سنن أصحابه ﷺ، وإنما يعارضون بمتشابه القرآن وبما أراهم العقل عندهم، وليس هذا طريق المسلمين، إنما هذا طريق من قد زاغ عن طريق الحقِّ وقد لعب به الشيطان.

إن المكذب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأ فاحشًا خرج به عن الكتاب والسُّنة، وذلك أنه عمد إلى آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر أخبر الله ﷻ أنهم إذا دخلوا النار أنهم غير خارجين منها، فجعلها المكذب بالشفاعة في الموحدين، ولم يلتفت إلى أخبار رسول الله ﷺ في إثبات الشفاعة أنها إنما هي لأهل الكبائر، والقرآن يدلُّ على هذا، فخرج بقوله السوء عن جملة ما عليه أهل الإيمان واتبع غير سبيلهم.

٥٩ ـ والإيمان بأن النبي ﷺ أُعطي حوضًا واجب.

٦٠ ـ والإيمان بعذاب القبر واجب.

٦١ ـ والإيمان والتصديق بمسألة منكر ونكير واجب.

٦٢ ـ والإيمان والتصديق بالدجال وأنه خارج في هذه الأمة واجب.

فقد استعاذ النبي ﷺ من الدجال، وعلم أُمَّته أن يستعيذوا بالله العظيم منه، وقد حذَّر أُمَّته في غير حديث الدجال ووصفه لهم، فينبغي للمسلمين أن يحذروه، ويستعيذوا بالله من زمان يخرج فيه الدجال، فإنه زمان صعب أعاذنا الله وإياكم منه.

وقد روي أنه قد خُلِق وهو في الدنيا موثق بالحديد إلى الوقت الذي يأذن الله عَزَّوَجَلَّ بخروجه[١].

٦٣ ـ والإيمان بنزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ حكمًا عدلًا، فيُقيم الحق، ويقتل الدَّجَّال: واجب.

والذين يقاتلون مع عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: أُمّة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذين يقاتلون عيسى: اليهود مع الدجال، فيقتلُ عيسى الدجالَ، ويقتل المسلمون اليهود، ثم يموت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويصلي عليه المسلمون، ويدفن مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٦٤ ـ والإيمان بالميزان أنه حقٌّ توزن به الحسنات والسيئات.

٦٥ ـ والإيمان والتصديق بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأن نعيم الجنة لا ينقطع عن أهلها أبدًا، وأن عذاب النار لا ينقطع عن أهلها أبدًا.

والقرآن شاهد أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخلق للجنة أهلًا وللنار أهلًا قبل أن يخرجهم إلى الدنيا، لا يختلف في هذا من شمله الإسلام وذاق حلاوة طعم الإيمان، دلَّ على هذا القرآن والسُّنة، فنعوذ بالله ممن يُكذِّب بهذا.

٦٦ ـ ومما ينبغي لنا أن نُبينه للمسلمين من شريعة الحقِّ التي ندبهم الله عَزَّوَجَلَّ إليها، وأمرهم بالتمسك بها، وحذرهم الفُرقة في دينهم، وأمرهم بلزوم الجماعة، وأمرهم بطاعته وطاعة رسوله: أن أُبين لهم فضل نبيهم؛ ليعلموا قدر ما خصهم الله عَزَّوَجَلَّ به، إذ

(١) يشير إلى حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل الذي رواه مسلم في صحيحه (٢٩٤٢).

جعلهم من أُمته ليشكروا الله على ذلك. فقبيح بالمسلمين أن يجهلوا معرفة فضائل نبيهم، وما خصَّه الله ﷻ به من الكرامات والشرف في الدنيا والآخرة.

٦٧ ـ ومما خص الله ﷻ به النبي ﷺ مما أكرمه به وعظم شأنه زيادة منه له في الكرامات: أنه أَسرى بمحمد ﷺ بجسده وعقله حتى وصل إلى بيت المقدس، ثم عُرج به إلى السماوات، فرأى من آيات ربه الكبرى، رأى ملائكة ربه ﷻ، ورأى إخوانه من الأنبياء حتى وصل إلى مولاه الكريم، فأكرمه بأعظم الكرامات، وفرض عليه وعلى أُمته خمس صلوات وذلك بمكة في ليلة واحدة، ثم أصبح بمكة، سرَّ الله الكريم به أعين المؤمنين، وأسخن به أعين الكافرين وجميع الملحدين.

واعلم أن الله ﷻ أسرى بمحمد ﷺ بجسده وعقله، لا أن الإسراء كان منامًا، وذلك أن الإنسان لو قال وهو بالمشرق: رأيت البارحة في النوم كأني في المغرب لم يُرَدَّ عليه قوله ولم يُعارض.

فالنبي ﷺ لو قال لأبي جهل ولسائر قومه: رأيت في المنام كأني ببيت المقدس على وجه المنام لقبلوا منه ذلك، ولم يتعجبوا من قوله، ولقالوا له: صدقت. وذلك أن الإنسان قد يرى في النوم كأنه في أبعد مما أخبرتنا، ولكنه لما قال لهم: أُسريَ بي الليلة إلى بيت المقدس، كان خلافًا للمنام عند القوم، وكان هذا في اليقظة بجسده وعقله، فقالوا له: في ليلة واحدة ذهبت إلى الشام وأصبحت بين أظهرنا؟!

كل هذا دليل لمن عقل وميَّز، علم أن الله ﷻ خصَّ نبيه محمدًا ﷺ بأنه أسرى به بجسده وعقله، فمن زعم أنه منام فقد أخطأ

في قوله، وقصَّر في حقِّ نبيه، وردَّ القرآن والسُّنة، وتعرَّض لعظيم.

٦٨ ـ ومما خصَّه الله تعالى كرامة لنبيه ﷺ: رؤيته لربه ﷻ.

٦٩ ـ واعلموا أن الله ﷻ أعطى نبينا من الشرف العظيم ما لم يعطه نبيًّا قبله مما قد تقدم ذكرنا له، وأعطاه المقام المحمود يزيده شرفًا وفضلًا، جمع الله الكريم له فيه كل حظ جميل من الشفاعة للخلق، والجلوس على العرش، خصَّ الله الكريم به نبيه، وأقرَّ به عينه، يغبطه به الأولون والآخرون، سر الله الكريم به المؤمنين مما خص به نبيهم من الكرامة العظيمة والفضيلة الجميلة، تلقاها العلماء بأحسن القبول فالحمد لله على ذلك.

قال الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

وأما حديث مجاهد في فضيلة النبي ﷺ وتفسيره لهذه الآية: أنه يقعده على العرش، فقد تلقَّاها الشيوخ من أهل العلم والنقل لحديث رسول الله تلقوها بأحسن تلقٍ، وقبلوها بأحسن قبول، ولم يُنكروها، وأنكروا على من ردَّ حديث مجاهد إنكارًا شديدًا، وقالوا: من ردَّ حديث مجاهدٍ فهو رجلُ سوء.

٧٠ ـ ثم من بعد فضائل النبي ﷺ أذكر فضائل صحابته رضي الله عنهم الذين اختارهم الله ﷻ له، فجعلهم وزراءه وأصهاره وأنصاره والخلفاء من بعده في أُمته، وهم المهاجرون والأنصار الذين نعتهم الله ﷻ في كتابه بأحسن النعت، وأخبرنا ﷻ في كتابه أنه نعتهم في التوراة والإنجيل بأحسن النعت.

٧١ ـ فمن صفة من أراد الله ﷻ به خيرًا، وسَلِمَ له دينه،

ونفعه الله الكريم بالعلم: المحبة لجميع الصحابة، ولأهل بيت رسول الله ﷺ، ولأزواج رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، ولا يخرج بفعل ولا بقول عن مذاهبهم، ولا يرغب عن طريقهم، وإذا اختلفوا في باب من العلم فقال بعضهم: حلال، وقال الآخر: حرام، نظر أي القولين أشبه بكتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ، وسأل العلماء عن ذلك إذا قصر علمه فأخذ به، ولم يخرج عن قول بعضهم، وسأل الله عز وجل السلامة، وترحّم على الجميع.

٧٢ ـ وواجب على كل مسلم عقل عن الله عز وجل، وصانه عن مذاهب الرافضة والناصبة: أن يشهد لمن شهد له النبي ﷺ بالجنة، إذ كان على حراء فتزلزل به الجبل ومعه: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، وتمام سائر العشرة.

٧٣ ـ واعلموا أنه لم يختلف من شمله الإسلام أنه لم يكن خليفة بعد رسول الله ﷺ إلّا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لا يجوز لمسلم أن يقول غير هذا، وذلك لدلائل خصَّه الله الكريم بها، وخصَّه بها النبي ﷺ في حياته، وأمر بها بعد وفاته.

٧٤ ـ وكان أحق الناس بالخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه: عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جعل الله الكريم فيه من الأحوال الشريفة الكريمة.

٧٥ ـ ولما طُعن عمر رضي الله عنه وتيقن أنه الموت، كان من حسن توفيق الله الكريم له ونصيحته لله عز وجل في رعيته وحسن النظر لهم حيًّا وميتًا: أنه جعل الأمر بعده شورى بين جماعة من الصحابة الذين قبض النبي ﷺ وهو عنهم راضٍ، وقد شهد لهم بالجنة،

وأخرج ولده من الخلافة ومن المشورة، وقال لهم: من اخترتم منكم أن يكون خليفة فهو خليفة، وهم ستة: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمٰن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فرضي القوم بعثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فبايعه علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وسائر الصحابة، لم يختلف عليه واحد منهم؛ لعلمهم بفضله وقديم إسلامه، ومحبته لله ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبذله لماله لله ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٧٦ ـ واعلموا أنه لم يكن بعد عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أحد أحقّ بالخلافة من علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لما أكرمه الله عَزَّ وَجَلَّ به من الفضائل التي خصَّه الله الكريم بها.

٧٧ ـ ومذهبنا أنا نقول في الخلافة والتفضيل: بأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. هذا طريق أهل العلم.

٧٨ ـ واعلموا أن فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا كريمة على الله عَزَّ وَجَلَّ، وعلى رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعند جميع المؤمنين، شرفها عظيم، وفضلها جزيل.

٧٩ ـ وأن الحسن والحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قدرهما جليل، وفضلهما كبير، وهما سيدا شباب أهل الجنة، لهما من الفضائل ما تقر بها عين كل مؤمن محب لهما، ويسخن الله العظيم بها عين كل ناصبيٍّ خبيث باغض لهما، أبغض الله من أبغضهما.

٨٠ ـ واعلموا أن خديجة أُم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فضلها عظيم، وخيرها جزيل.

٨١ ـ فإن قال قائل: فما تقول فيمن يزعم أنه مُحِبٌّ لأبي بكر وعمر وعثمان ومتخلّف عن محبة علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وعن محبة الحسن والحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، غير راضٍ بخلافة علي بن

أبي طالب رضي الله عنه، هل تنفعه محبة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم؟

قيل له: معاذ الله، هذه صفة منافق ليست بصفة مؤمن.

وكذا من زعم أنه يتولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويُحب أهل بيته، ويزعم أنه لا يرضى بخلافة أبي بكر وعمر ولا عثمان ولا يحبهم، ويتبرأ منهم، ويطعن عليهم، فنشهد بالله يقينًا أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن والحسين رضي الله عنهما برءاء منه، لا تنفعه محبتهم حتى يُحب أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

٨٢ ـ وواجب على كل مؤمن ومؤمنة محبة أهل بيت رسول الله ﷺ بني هاشم؛ علي بن أبي طالب وولده وذريته، وفاطمة وولدها وذريتها، والحسن والحسين وأولادهما وذريتهما، وجعفر الطيار وولده وذريته، وحمزة وولده، والعباس وولده وذريته رضي الله عنهم، هؤلاء أهل بيت رسول الله ﷺ واجب على المسلمين محبتهم، وإكرامهم واحتمالهم، وحسن مداراتهم، والصبر عليهم، والدعاء لهم، فمن أحسن من أولادهم وذراريهم فقد تخلق بأخلاق سلفه الكرام الأخيار الأبرار، ومن تخلق منهم بما لا يحسن من الأخلاق دعي له بالصلاح والصيانة والسلامة، وعاشره أهل العقل والأدب بأحسن المعاشرة، وقيل له: نحن نجلك عن أن تتخلق بأخلاق لا تشبه سلفك الكرام الأبرار، ونغار لمثلك أن يتخلَّق بما نعلم أن سلفك الكرام الأبرار لا يرضون بذلك، فمن محبتنا لك أن نحب لك أن تتخلق بما هو أشبه بك، وهي الأخلاق الشريفة الكريمة، والله الموفق لذلك.

٨٣ ـ ولم يختلف جميع من شمله الإسلام أن أبا بكر

وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا دفنا مع النبي ﷺ في بيت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وليس هذا مما يحتاج فيه إلى الأخبار والأسانيد المروية فلان عن فلان، بل هذا من الأمر العام المشهور الذي لا ينكره عالم ولا جاهل بالعلم، بل يستغنى بشهرة دفنهما مع النبي ﷺ عن نقل الأخبار.

٨٤ ـ واعلموا أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وجميع أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، فضلهن الله عَزَّ وَجَلَّ برسوله ﷺ، أولهن خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وبعدها عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا شرفها عظيم وخطرها جليل.

فإن قال قائل: فلم صار الشيوخ يذكرون فضائل عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا دون سائر أزواج النبي ﷺ ممن كان بعدها؟

قيل له: لما أن حسدها قوم من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ فرموها بما قد برأها الله تعالى منه، وأنزل فيه القرآن، وأكذب فيه من رماها بباطله، فستر الله الكريم به رسوله ﷺ، وأقرَّ به أعين المؤمنين، وأسخن به أعين المنافقين؛ عند ذلك عني العلماء بذكر فضائلها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة.

٨٥ ـ ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كاتب رسول الله ﷺ على وحي الله عَزَّ وَجَلَّ وهو القرآن بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ، وصاحب رسول الله ﷺ، ومن دعا له النبي ﷺ أن يقيه العذاب، ودعا له أن يعلمه الله الكتاب، ويمكن له في البلاد، وأن يجعله هاديا مهديًّا، وصاهره النبي ﷺ بأن تزوج بأم حبيبة أخت معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فصارت أم المؤمنين، وصار هو خال المؤمنين.

٨٦ ـ وينبغي لمن تدبر ما رسمنا من فضائل أصحاب

رسول الله ﷺ، وفضائل أهل بيته رضي الله عنهم أجمعين؛ أن يُحبهم، ويترحم عليهم، ويستغفر لهم، ويتوسل إلى الله الكريم لهم، ويشكر الله العظيم إذ وفقه لهذا، ولا يذكر ما شجر بينهم، ولا يُنقِّر ولا يبحث.

٨٧ ـ فإن عارضنا جاهل مفتون قد خُطِيَ به عن طريق الرشاد فقال: لم قاتل فلان لفلان؟ ولم قتل فلان لفلان وفلان؟

قيل له: ما بنا وبك إلى ذكر هذا حاجة تنفعنا، ولا اضطررنا إلى علمها.

فإن قال قائل: ولم؟

قيل: لأنها فتن شاهدها الصَّحابة رضي الله عنهم فكانوا فيها على حسب ما أراهم العلم بها، وكانوا أعلم بتأويلها من غيرهم، وكانوا أهدى سبيلًا ممن جاء بعدهم؛ لأنهم أهل الجنة، عليهم نزل القرآن، وشاهدوا الرسول ﷺ، وجاهدوا معه، وشهد لهم الله عز وجل بالرضوان والمغفرة والأجر العظيم، وشهد لهم الرسول ﷺ أنهم خير قرن، فكانوا بالله عز وجل أعرف، وبرسوله ﷺ وبالقرآن وبالسُّنة، ومنهم يؤخذ العلم، وفي قولهم نعيش، وبأحكامهم نحكم، وبأدبهم نتأدب، ولهم نتبع، وبهذا أُمرنا.

٨٨ ـ فإن قال قائل: وأيش الذي يضرنا من معرفتنا لما جرى بينهم والبحث عنه؟

قيل له: لا شكَّ فيه، وذلك أن عقول القوم كانت أكبر من عقولنا، وعقولنا أنقص بكثير، ولا نأمن أن نبحث عما شجر بينهم فنزل عن طريق الحقِّ، ونتخلف عما أُمرنا فيهم.

٨٩ ـ فإن قال قائل: وبم أمرنا فيهم؟

قيل: أمرنا بالاستغفار لهم، والترحّم عليهم، والمحبة لهم، والاتباع لهم، دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنة وقول أئمة المسلمين، وما بنا حاجة إلى ذكر ما جرى بينهم، قد صحبوا الرسول ﷺ وصاهرهم وصاهروه، فبالصحبة له يغفر الله الكريم لهم، وقد ضمن الله عَزَّ وَجَلَّ لهم في كتابه ألا يخزي منهم واحدًا.

وأخبرنا مولانا الكريم أنه قد تاب عليهم، وإذا تاب عليهم لم يعذب واحدًا منهم أبدًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

٩٠ ـ فإن قال قائل: إنما مرادي من ذلك لأن أكون عالمًا بما جرى بينهم، فأكون لم يذهب عليَّ ما كانوا فيه؛ لأني أُحب [أن أعلم] ذلك ولا أجهله.

قيل له: أنت طالب فتنة؛ لأنك تبحث عما يضرك ولا ينفعك، ولو اشتغلت بإصلاح ما لله عَزَّ وَجَلَّ عليك فيما تعبَّدك به من أداء فرائضه واجتناب محارمه كان أولى بك.

وقيل له: ولا سيما في زماننا هذا مع قبح ما قد ظهر فيه من الأهواء الضَّالة.

وقيل له: اشتغالك بمطعمك وملبسك من أين هو؟ أولى بك، وتكسبك بدرهمك من أين هو؟ وفيم تنفقه؟ أولى بك.

وقيل: لا نأمن أن تكون بتنقيرك وبحثك عما شجر بين القوم إلى أن يميل قلبك فتهوى ما لا يصلح لك أن تهواه ويلعب بك الشيطان، فتسب وتبغض من أمرك الله بمحبته والاستغفار له

وباتباعه، فتزل عن طريق الحق، وتسلك طريق الباطل.

٩١ ـ وقد علم النبي ﷺ أنه سيكون في آخرِ الزمان أقوام يلعنون أصحابه ﭫ، فلعن من لعن أصحابه أو سبَّهم.

ثم أمر جميع الناس أن يحفظوه في أصحابه وأن يكرموهم.

فمن لم يكرمهم فقد أهانهم، ومن سبَّهم فقد سبَّ رسول الله ﷺ، ومن سبَّ رسول الله ﷺ استحق اللعنة من الله ﷻ ومن ملائكته ومن الناس أجمعين.

لقد خاب وخسر من سبَّ أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنه خالف الله ورسوله ﷺ، ولحقته اللعنة من الله ﷻ، ومن رسوله ﷺ، ومن الملائكة، ومن جميع المؤمنين، ولا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، لا فريضةً ولا تطوعًا، وهو ذليل في الدنيا، وضيع القدر، كثَّر الله بهم القبور، وأخلى منهم الدور.

٩٢ ـ وإنا نُجلُّ علي بن أبي طالب ﭬ، وفاطمة ﭭ، والحسن والحسين ﭭ، وعقيل بن أبي طالب ﭬ، وأولادهم، وأولاد جعفر الطيار ﭬ، وذريتهم الطيبة المباركة عن مذاهب الرافضة الذين قد خُطِيَ بهم عن طريق الرشاد.

أهل بيت رسول الله ﷺ، أعلى قدرًا، وأصوب رأيًا، وأعرف بالله ﷻ وبرسوله ﷺ مما ينحلهم الرافضة إليه من سبهم لأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة ﭫ.

وقد كان علي ﭬ ولده وذريته الطيبة ينكرون على الرافضة سوء مذاهبهم، ويتبرؤون منهم، ويأمرون بمحبة أبي بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة ﭫ؛ لأن الرافضة لا يشهدون جمعة ولا

جماعة، ويطعنون على السلف، ولا نكاحهم نكاح المسلمين، ولا طلاقهم طلاق المسلمين، وهم أصناف كثيرة.

منهم من يقول: إن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إله.

ومنهم من يقول: بل علي كان أحق بالنبوة من محمد، وإن جبريل غلط بالوحي.

ومنهم من يقول: هو نبي بعد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنهم من يشتم أبا بكر وعمر، ويكفرون جميع الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ويقولون: هم في النار إلَّا ستة.

ومنهم من يرى السيف على المسلمين، فإن لم يقدروا خنقوهم حتى يقتلوهم.

وقد أجلَّ الله الكريم أهل بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مذاهبهم القذرة التي لا تشبه المسلمين.

وفيهم من يقول بالرجعة، نعوذ بالله ممن ينحل هذا إلى من قد أجلهم الله الكريم وصانهم عنها، رضي الله عن أهل البيت، وجزاهم عن جميع المسلمين خيرًا.

٩٣ ـ والرافضة أسوأ الناس حالة، وهم كذبة فجرة، وأن عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وذريته الطيبة، أبرياء مما تنحله الرافضة إليهم، وأن المحب لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي يرجو الثواب من الله عَزَّ وَجَلَّ هو المحب لأبي بكر وعمر وعثمان وجميع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فمن لم يكن كذلك لم تصح له محبة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد برأ الله الكريم عليًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وذريته الطيبة من مذاهب الرافضة الأنجاس الأرجاس.

ونقول: إنه من أبغض علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم تنفعه محبة

أبي بكر وعمر وعثمان، بل هو عندنا منافق كما قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلَّا منافق**»(١).

هذا مذهبنا وبه ندين الله عز وجل وبه نأمر إخواننا.

٩٤ - وينبغي لكل من تمسَّك بما رسمناه في كتابنا هذا: أن يهجر جميع أهل الأهواء؛ من مثل: الخوارج، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، وكل من ينتسب إلى المعتزلة، وجميع الروافض، وجميع النواصب، وكل من نسبه أئمة المسلمين أنه مبتدع بدعة ضلالة، وصح عنه ذلك، فلا ينبغي أن يكلَّم، ولا يُسلِّم عليه، ولا يجالس، ولا يُصلى خلفه، ولا يزوج، ولا يتزوج إليه من عرفه، ولا يشاركه، ولا يعامله، ولا يناظره، ولا يجادله، بل يذله بالهوان له، وإذا لقيته في طريق أخذت في غيرها إن أمكنك.

٩٥ - فإن قال قائل: فلم لا أناظره وأجادله وأرد عليه قوله؟

قيل له: لا يؤمن عليك أن تناظره وتسمع منه كلامًا يفسد عليك قلبك، ويخدعك بباطله الذي زين له الشيطان فتهلك أنت، إلَّا أن يضطرك الأمر إلى مناظرته وإثبات الحجة عليه بحضرة سلطان، أو ما أشبهه لإثبات الحجة عليه، فأما لغير ذلك فلا، وهذا الذي ذكرته لك قول من تقدم من أئمة المسلمين، وموافق لسنة رسول الله ﷺ.

٩٦ - وينبغي لإمام المسلمين ولأمرائه في كل بلدٍ إذا صحَّ

---

(١) رواه مسلم (١٣١).

عنده مذهب رجل من أهل الأهواء ممن قد أظهره؛ أن يعاقبه العقوبة الشديدة؛ فمن استحق منهم أن يقتله قتله، ومن استحقَّ أن يضربه ويحبسه وينكل به فعل به ذلك، ومن استحق أن ينفيه نفاه وحذَّر منه الناس.

٩٧ ـ فإن قال قائل: وما الحُجَّة فيما قلت؟

قيل: ما لا يدفعه العلماء ممن نفعه الله عَزَّوَجَلَّ بالعلم، وذلك:

أ ـ أن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جلد صبيغًا التميمي، وكتب إلى عُمَّاله أن يقيموه حتى ينادي على نفسه، وحرمه عطاءه، وأمر بهجره فلم يزل وضيعًا في الناس.

ب ـ وهذا علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قتل بالكوفة في صحراءَ أحدَ عشر، جماعةً ادعوا أنه إلههم، خدَّ لهم في الأرض أخدودًا، وأحرقهم بالنار. وقال:

لما سمعت القول قولًا منكرًا   أججت نارًا ودعوت قنبرا

ج ـ وهذا عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطأة في شأن القدرية: تستتيبهم، فإن تابوا وإلَّا فاضرب أعناقهم.

د ـ وقد ضرب هشام بن عبد الملك عنق غيلان وصلبه بعد أن قطع يده.

ولم يزل الأمراء بعدهم في كل زمان يسيرون في أهل الأهواء إذا صح عندهم ذلك: عاقبوه على حسب ما يرون، لا تنكره العلماء.

بهذا ننصح إخواننا من أهل السُّنة والجماعة، من أهل القرآن، وأهل الحديث، وأهل الفقه، وجميع المستورين في ذلك، فمن قبل

فحظه أصاب من الخير إن شاء الله، ومن رغب عنه، أو عن شيءٍ منه فنعوذ بالله منه، وأقول له كما قال نبي من أنبياء الله ﷻ لقومه لما نصحهم، فقال: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٤٤﴾ [غافر: ٤٤].

